

مسرح

إنفجار المرفأ خلف خراباً كبيراً في الفضاءات الثقافية
حملات لإنقاذ مسارح بيروت: محكومون بالأمل

مع جلاء صورة انفجار الرابع من آب، اتضح حجم الدمار والخراب الذي طاول خشبات المسرح والصالات الفنية في بيروت. مسارح كاملة ابعدت عن بكرة ابيها. خسائر المجتمع الثقافي والفني كبيرة، اولها تبدأ بخسارة في الارواح ولا تنتهي بخسارة الخشبة التي احتضنت مشاغلهم وابداعاتهم. في هذا الاطار، انطلقت حملات محلية وعالمية من اجل اغائة ما تبقى من مسارح في بيروت



"مسرح الجميزة" من اكثر الفضاءات تضررا.

“مسرح الجميزة” هو الاكثر تضررا جراء الانفجار يليه مسرح “فرقة زقاق”

ميديا نظمها مسرحيون وفنانون ومبدعون من اجل جمع التبرعات الهادفة الى دعم المسارح والصالات الفنية والفنانين الذين تضرروا جراء الانفجار.

وملجأ للمشاهدين من مختلف المشارب، كما انه جبر العديد من انشطته لصالح الاطفال المهمشين والمعتمدين. ولا ننسى اللائحة الطويلة من العروض المسرحية، والحفلات الموسيقية، والعروض الابدائية التي شهدتها خشبته على مر السنوات، الى جانب ورشات عمل تربوية كان يقيمها اسبوعيا بمشاركة فنانيين من بريطانيا، وفرنسا، وايطاليا، والولايات المتحدة، وتركيا، وارمينيا، وسوريا، وكندا... اخيرا، كان هذا المسرح يستخدم دوريا من اجل جمع التبرعات التي كانت تعود لصالح تعليم الاطفال الفقراء الذين لا يملك ذووهم القدرة على ارسالهم الى المدرسة.

اليوم، يبدو المسرح اشبه بالاطلال، والخراب يعم المكان. اذ ان الانفجار اطاح جدرانه الخارجية والداخلية على السواء، الى جانب خشبة المسرح. طبعا، الخراب طاول ايضا الابواب، والنوافذ، والسقف، ونظامي الاضاءة والصوت، والمعدات الكهربائية. حتى ان ابوابه ونوافذه المصنوعة من خشب الارز، الشاهدة على عصره الذهبي، كلها استحالت نثرا وشظايا. اما الجدران الخارجية المصنوعة من الحجر الرملي، فتعاني هي الاخرى من فجوات جراء الانفجار، وهي تحتاج بشكل عاجل الى الاصلاح قبل بداية الشتاء وموسم الامطار. لذا، اطلق جو قديح صرخته التي تجاوب معها فنانون كثيرون من لبنان وخارجه. اذ اعلن هؤلاء عن عروض جديدة لهم يعود ريعها لترميم مسرح الجميزة.

"استوديو زقاق"

على مسافة قريبة من مسرح الجميزة، يقع مسرح "فرقة زقاق"، او "استوديو زقاق"، في منطقة كورنيش النهر، وهو يعتبر ايضا من المسارح الاكثر تضررا جراء الانفجار. على صفحة الفرقة على فايسبوك، اعلن القائمون على المسرح ان طاقم الفرقة كان قد غادر المسرح قبل دقائق قليلة من الانفجار. هذه الصدفة انقذت حياة الفرقة التي تأسست عام 2006 وقدمت اعمالا تنبش من الذاكرة الجماعية الشعبية، وتحكي قصص المهمشين واللاجئين وتقارب قضايا اجتماعية وسياسية حيوية. اليوم، اعضاء الفرقة باتوا بلا المسرح الذي افتتحوه عام 2008 في قلب منطقة تعاني من الفقر ومن مختلف اشكال التهميش الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. ◀

نقطة على السطر

الثقافة اللبنانية (أيضا) منكوبة

اي مجتمع متقدم، اي نظام ديمقراطي، منذ ايام الاغريق، يحتاج ركيزتين لوجوده.... بل قل قاعدتين اساسيتين، معقلين يختصران روح الحاضرة، وتقدم المجتمع، وازدهاره الفكري. هذان المعقلان هما: البرلمان والمسرح. الباقي مهم، الجامعة والمصرف والمصنع والمبني الاعلامي، الخ... لكن في هذين الصرحين تدار شؤون الناس، ويُخترع المستقبل... اذا كانت الندوة البرلمانية هي مكان تقاطع الآراء والاتجاهات التي تصنع الحياة السياسية، وتشكل ملامح الدولة، والقوانين، وفن ادارة شؤون الحاضرة... فإن المسرح هو الفضاء المدني الذي يلتقي فيه الافراد الباحثون عن معنى لوجودهم، عن اجابات عن هواجسهم ومشاكلهم، وفيه تصاغ ملامح المجتمع، ويتشكل ضمير الجماعة، وهويتها، وروح الامة في عصر من العصور.

عندما بلغ لبنان ذروة تحققة وازدهاره، كان يتمتع بحياة سياسية صاخبة، وبحياة ثقافية خصبة ورائدة ومجددة. هكذا كتبنا تاريخنا الحديث والمعاصر، وهكذا اطلبنا على المحيط والعالم، وانتمينا الى العصر. وحتى الامس القريب، على الرغم من كل المصاعب والعثرات والازمات، كان في بيروت فضاءات ثقافية لا تحصى، يؤمها جمهور متنوع على مستوى الانتماء والاجيال. ولطالما كانت هذه الفضاءات هي مصنع التعددية والحممة الاجتماعية والوطنية. ناهيك بأن الثقافة صناعة ايضا، وقطاعات منتجة تستقطب مهنا واختصاصات وتقنيات، من خلال حركة تفاعل تدر الارباح المادية وتخلق الفرص والوظائف.

البرلمان هو محور نقاشاتنا المستقبلية اليوم في لبنان، لكن ماذا عن الثقافة؟ هل يمكن اليوم ان نتصور بيروت من دون اماكنها الثقافية؟

نطرح السؤال لأن كارثة المرفأ التي دمرت جزءا من بيروت، شلت معظم الفضاءات الثقافية ايضا، وعطلت الحياة الثقافية، معرضة الكثير من المؤسسات الصغرى الى الافلاس والاقفال. شاهدنا في الاعلام كم الغاليهات والمتاحف والمكتبات العامة، وصالات العرض والمسارح التي دمرها الانفجار... من متحف سرسق في الاشرية الى مسرح المدينة في شارع الحمراء... اليوم يطرح الفنانون الصوت، ومن خلفهم المؤسسات التي تحتضنهم وتنتج لهم وتعرض لهم... هناك حاجة ماسة الى الانقاذ، والدعم والمساعدة على انبعث هذا القطاع المنكوب. طبعا هناك المدارس والمستشفيات والمتاحف والمؤسسات. هناك المباني التراثية والاثرية التي يجب ان تنقذ من جشع المستثمرين. هناك مساكن الناس، خصوصا من الطبقة الفقيرة والوسطى. وهذه في حاجة الى اعادة تأهيل، اجتماعي واقتصادي وعمراني. لكن الثقافة بالاهمية نفسها، ولا يجب ان يأتي من يقول انها ليست الاولوية، وانها تأتي في درجة ثانية او ثالثة.

الخطر الكبير اليوم اهمال المسارح وصالات العرض، او تركها لمساعدات اجنبية غامضة، وانتقائية، ولها اهدافها، من دون تدخل الدولة وحمائتها. الخطر الكبير ان يعاد بناء لبيروت - الامر الذي تتمناه سريعا ومتكافئا وعادلا وديناميا - فلننتف حولنا ولا نرى مسرحا او صالة عرض.

لماذا؟

لأنها "ليست اولوية".

لأن الاموال غير متوفرة، ولأن المكاسب المادية المباشرة غير مغرية. هكذا يكون انفجار المرفأ قد قضى، من جملة الخسائر البشرية والاجتماعية والاقتصادية، على روح المدينة، وروح الوطن. وما نفع اعادة اعمار مدينة خالية من الثقافة؟

(افاق)، مبادرة دعم عاجل واستثنائي للعاملات والعاملين في القطاع الثقافي والفني في بيروت، من المتضررين جراء الانفجار. وفي بيان، اكدت مديرة "المورد الثقافي" ايلينا ناصيف ومديرة "افاق" رما المسمار ان محرك هذه المبادرة الاساسي يكمن في "اولوية الحفاظ على شيء من التماسك لقطاع باكملة، في غياب اي دور او تحرك للقطاع العام، ليتمكن افراده من الاستمرار في لعب دورهم في النقد والتوثيق وطرح الاسئلة ومساءلة المسلمات والاضاءة على مرويوات مهمشة وطرح مواضيع ملحة مقاربات تعيد تشكيل علاقتنا بالحاضر والماضي والسياسة والحيز العام".

هذه المبادرة تستهدف دعم الافراد من فنانين وتقنيين وعاملين في القطاع الثقافي والفني ممن تضرروا مباشرة - اصابات جسدية ونفسية، تدمير منازلهم، فقدان معداتهم واماكن عملهم - من خلال منحة تراوح قيمتها بين الفين و4 الاف دولار اميركي. هذا التضامن من مبدعي العالم مع مبدعي بيروت، يفتح كوة امل في المستقبل، خصوصا لجهة مستقبل المسرح الذي يعاني الامرين في بلد كلبنان. الا ان قاسم اسطنبولي لا يبدو متشائما.

حين نسأله عن مستقبل ابي الفنون في بلد يعاني من مختلف الازمات الاقتصادية والسياسية والامنية، يعلق قائلا: "بالطبع، المسرح هو مرآة الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي نعيشه، والانفجار انعكس حتما على الحياة الثقافية والابداعية، اضافة الى كورونا والازمة الاقتصادية. وبالطبع، سيؤثر الانفجار على المواضيع التي سيتناولها المسرحيون والمخرجون والكتاب، اكان في المسرح او السينما او الدراما، لان هذا الحدث ليس عاديا، بل مصيري احدث تحولا جذريا في الحياة على مختلف الاصعدة في لبنان. اما بالنسبة الى وضع المسرح، ففي النهاية هو مرآة بازمات عدة، وطبعاً هذه المرحلة هي من اصعبها، لكنها ليست ازمة وجود. هو اصلا يعاني من ازمة غياب الجمهور والمتلقي ولا مسرح من دون جمهور. مع انتهاء ازمة كورونا وتحسن الوضع الاقتصادي، اعتقد بأن الجمهور سيعود، وسيعود معه المسرح. ويمكن القول بان المسرح في حاجة اليوم الى عودة الحياة الى خشباته، فالمسرح لا يموت في النهاية. بل سيعود بفضل المسرحيين والشباب في لبنان، ونحن محكومون بالامل ومتمسكون بالحب".

س. م.



"استديو زقاق" من الداخل.



قاسم اسطنبولي.

البيروتية على رأسها "مسرح الجميزة". على صفحة التجمع على فايسبوك، اعلن القاهمون انهم نجحوا في جمع حوالي نصف المبلغ المقدر لاصلاح الاضرار في مسارح لبنان والعاملين المتضررين. كما نرى على الصفحة فيديوات لممثلين مسرحيين ومخرجين معروفين من لبنان والعالم، يدعون المجتمع الثقافي والفني الى التبرع من اجل مد يد العون الى الفنانين والمسارح المتضررة. سرعياً، انتشر هذا الدعم كالنار في الهشيم. مسرحيون وموسيقيون من العالم اقاموا حفلات وعروضاً عاد ريعها الى خشبات لبنان، فيما اطلق "صندوق التضامن مع لبنان" الذي تديره مؤسستا "المورد الثقافي" و"الصندوق العربي للثقافة والفنون"

تسويق كل الحملات التي اطلقتها المسارح في لبنان من اجل جمع التبرعات للفضاءات المتضررة. واقمنا ايضا معرضاً على مينا صور كتحية الى مرفأ بيروت دعماً للمتاحف والمسارح والصالات التي تضررت في الانفجار".

الى جانب قاسم اسطنبولي، هناك اكثر من 13 حملة عالمية لاغاثة المسارح والصالات الفنية المتضررة جراء الانفجار. نذكر مثلاً "تجمع اغاثة المسرح في لبنان" الذي يضم اكثر من مئة عضو من العاملين في المسرح من بينهم حنان الحاج علي وكريم ذكروب وسحر عساف وغيرهم. يرمي التجمع الى مساعدة المسرحيين المتضررين من الانفجار، الى جانب اعادة بناء ما تهدم من المسارح



"مسرح الجميزة" من الداخل.



"استوديو زقاق" في كورنيش النهر بعد الانفجار.

التي تضررت ان نضع خبرات تقنيينا ونجارينا وغيرهم في تصرفهم بالمجان. بعد ذلك، اطلقنا حملة اونلاين ضمت صوراً فوتوغرافية ولوحات ورسومات، وقد شارك معنا اكثر من سبعين فناناً من لبنان والعالم، كانوا يرسمون ويعرضون الاعمال للبيع ليعود ريعها الى المسارح المتضررة. وحاوّلنا

ثلاث صالات سينمائية في السابق، جمعنا الشباب والصبايا المتطوعين من منطقتي صور والنبطية الى بيروت لمساعدة المسارح التي تضررت، كازالة الركاب والتنظيف، ووضعنا كل امكاناتنا كما مسرحنا في صور في تصرف اي فنان يود استخدامه بالمجان. كما عرضنا على المسؤولين عن المسارح

الى جانب المسرحيين المذكورين انفا، هناك مسارح اخرى تتوزع بين الحمرا ("مسرح المدينة") والطبونة ("مسرح دوار الشمس")، والسويكو ("مسرح مونو")... كلها تضررت بنسب متفاوتة. من هنا، كانت الحملات الكثيرة التي انطلقت من اجل انقاذ هذه الفضاءات، خصوصا واننا شهدنا في الاعوام الاخيرة انحساراً في عدد المسارح في العاصمة.

من هذه المبادرات، واحدة اطلقها المخرج اللبناني قاسم اسطنبولي مؤسس "المسرح الوطني اللبناني" في مدينة صور، الذي يعتبر اول مسرح وسينما مجانية في لبنان. كما انه خاض رحلة طويلة في اعادة تأهيل وافتتاح العديد من صالات السينما المقلقة في جنوب لبنان منذ عقود بسبب الحرب من خلال جمعياته "تيرو للفنون". بعد انفجار مرفأ بيروت وظهور حجم الدمار الذي لحق بمسارح وصالات بيروت، اطلق اسطنبولي حملة تضامن من اجل التطوع والمساهمة في اعادة تأهيل المسارح والمراكز الثقافية المتضررة عبر "شبكة الثقافة والفنون العربية". والاخيرة "منصة الكترونية مفتوحة تأسست خلال ازمة كورونا مبادرة من ناشطين ثقافيين بهدف تشبيك الافراد والمؤسسات الثقافية والفنية، ومن اجل فتح صلة وصل وقنوات لتبادل الاحداث والمهرجانات، والخبرات والتجارب في الفن والثقافة في لبنان وفتح جسور للتعاون من اجل التضامن الثقافي في ظل الازمات الحالية"، وفق ما يعرف عنها القاهمون عليها. كما وضع اسطنبولي "المسرح الوطني اللبناني" في صور في تصرف الجميع مجاناً.

في مقابلة مع "الامن العام"، يوضح اسطنبولي مبادرته: "خلال ازمة كورونا، اطلقنا انشطة اونلاين، اضافة الى "شبكة الثقافة والفنون في لبنان" التي هدفت الى ارساء نوع من التضامن الثقافي والتشبيك حتى يتم التواصل بين المؤسسات الثقافية ونستطيع اقامة الندوات ونبحث عن الحلول لمساندة بعضنا بعضاً من خلال هذه الشبكة التي ضمت ناشطين وفاعلين ثقافيين وفنانين من لبنان وخارجه. وحين وقع الانفجار يوم الرابع من آب، بدأنا نفكر في كيفية توجيه هذه الشبكة وتفعيلها من اجل التضامن والمساعدة في موضوع المسارح المتضررة. بالنسبة اليانا كـ"جمعية تيرو للفنون" الناشطة في العمل على اعادة تأهيل الصالات السينمائية والمسارح، فنحن اعدنا تأهيل